وسائل تنمية الإبداع .. الحرية مطلب ضروري

الاثنين 18 أغسطس 2014 12:08 م

وسائل تنمية الإبداع .. الحرية مطلب ضروري

الكلمات التالية قد يكون المعني بها بدرجة أكبر القائمين بالتربية والمسؤولون عن رعاية الشباب، لكننا ندرجها هنا ليطلع الشاب على مسؤولياته التي تخصّه، والمسؤوليات التي يفترض به أن يطالب بها أولي الأمر من المعنيين بشؤون الشباب.

1 ـ البيئة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية:

فالبيت والمدرسة والمحيط الاجتماعي العام يترك بصماته على شخصية المبدع، فـ (الخنساء) الشاعرة العربية المعروفة، و(بلقيس) ملكة سبأ، والسيِّدة (زينب) بطلة كربلاء، و (انديرا غاندي) رئيسة وزراء الهند في وقتها، لابدّ وأن يكنّ قد تلقين تربية واسعة وغنيّة حتى أصبحن في المواقع التي يشير إليهنّ بنان التأريخ بالإجلال والتعظيم.

وإذا كانت البيئة الاجتماعية والفكرية ذات تأثير واضح على شخصية المبدع، فإنّ البيئة الاقتصادية ليست شرطاً في الإبداع، فلقد نبغ مبدعون في حقول إبداعية شتى من خلال بيئات فقيرة، كان الفقر عاملاً محفّزاً على إبداعاتهم.

2 ـ تنمية القدرات والقوى العقلية وصقلها وتدريبها على الدوام، وهي:

أ ـ الإدراك: (أي إدراك العلاقات بين الأشياء ومعرفة أسرارها وأبعادها).

ب ـ الذكاء: وهو القدرة على الابتكار والتفنن في ايجاد الحلول والبدائل، والقدرة على الاستدلال.

ج ـ الذاكرة: وهي الخزين الفكري والشعوري.

د ـ التحليل: وهو القدرة على دراسة الأشياء والحوادث والأفكار والخروج باستنتاجات واضحة.

هـ ـ الملاحظة: وهي ليست المشاهدة البصرية فقط بل تشمل الاستعانة بوسائل الملاحظة الأخرى من أجل المقارنة والتقييم والتنبؤ والتصنيف.

و ـ التفكير المنطقي السليم: والذي يعتمد التسلسل في الأفكار، وإبداء الرأي فيها والخروج باستنتاجات مناسبة.

3 ـ تنمية الميول العقلية:

كالميل إلى الاطلاع أو ما يسمّى بـ (حبّ الاستطلاع) والميل إلى البحث، والميل إلى

الشغف، والميل إلى المعرفة.

4 ـ الإفادة من القوانين والقواعد والسنن:
لإدراك النظم التي تسير بموجبها الأشياء، فالمبدع ـ كما قلنا ـ ليس خارجاً على القانون، وإنّما هو خارج على السائد الجامد، والرتيب الروتيني التقليدي.

5 ـ أجواء الإبداع:
وتشمل (الحبّ) فحيثما يجد المبدع صغيراً كان أو كبيراً أجواء الحب والاحترام والتقدير والاحتفاء بإنجازاته وتكريمه ينمو إبداعه ويتطور أكثر فأكثر والعكس صحيح، فكم قتل الحقد والحسد والتخلّف مواهب وإبداعات كان من الممكن أن تثري الواقع الانساني.

وتشمل أيضاً (الحريّة) ففي أجواء الاستبداد والتزمّت والقمع والتبعيّة .. لا ينمو إبداع، ولا تتفتح طاقة، ولا ينشأ نبوغ.

هل الإبداع مكتسبا أم موروثا ؟
قد تكون للوراثة دورها .. لكن الاكتساب أكبر مساحة في حياة المبدعين وكما تعرّفت على مواصفات (الإبداع) .. فإنّك بحاجة إلى أن تتعرّف على صفات (المبدعين)، لتتعرف بالتالي على ما تتحلّى به منها، وما ينبغي عليك السعي لاكتسابه من الخصائص المميزة الأخرى.

وعلى نحو الاختصار، نشير إلى:

1 ـ فهم المبدع للاطلاع والقراءة:
فكثير من المبدعين بل غالبيتهم العظمى هم (دودة كتب) .. يقرأون كلّ شيء .. وفي كلّ شيء، حتى الأمور التي هي خارج اختصاصهم.
يقول أحد الكُتّاب المبدعين (عباس محمود العقّاد): «أحبّ الكتب لأنّ حياة واحدة لا تكفي»!

2 ـ القدرة على التفكير والتأمّل:
ذلك أن تأمّلات المبدعين ليست سبحات فكرية أو تحليقات في فضاءات وهميّة .. نعم، قد تكون تحليقات خارج الفضاء المعهود لكنها وهي تمد رأسها إلى الأعلى لا ترتفع بقدميها عن الأرض.
إن تفاحاً كثيراً كان يسقط قبل (نيوتن) مكتشف الجاذبية، وصابوناً كثيراً كان يزيح من الماء بقدر كثافته قبل (ارخميدس) صاحب نظرية الكثافة والإزاحة، ولكن تفاحة واحدة وتفكّر واحد من قبل نيوتن هما اللذان أنجبا كانون (الجاذبية) .. وصابونة واحدة وعقل واحد استخدم أرخميدس هما اللذان صدرت عنهما صرخة (وجدتها .. وجدتها)! حين اكتشف قانون الإزاحة.

3 ـ القدرة على التذكّر:
فذاكرة المبدع حيوية نشطة وحاضرة للاستدعاء كلّما أراد المبدع منها شيئاً، فهي (تعينه) ولا (تخونه).
كان الشاعر أبو العلاء المعرّي وهو أعمى يتمتع بحاسة سمع حادّة، حتى أنّه استلم ذات مرّة رسالة باللغة الفارسية وهو لا يعرف هذه اللغة الأجنبية من شخص كان يسأل عن جار له فحفظها وسلّمها بأمانة لجاره حين عودته!

4 ـ الاستقلالية في التفكير والأداء:

فالمبدع لا يستطيع أن يعمل تحت الضغوط والتدخل بشؤونه وبالسير على طريقة العرف السائد .. له منهجه الحرّ في التفكير .. ولو لم يكن كذلك لما كان مبدعاً.

5 ـ عشقه لعمله:
فلقد ثبت بالتجربة، وهذا ما أثبته أيضاً تاريخ الإبداع والمبدعين، إنّ الذي يتمحّض في عمل ما، ويوقف جهده وفكره وطاقته عليه، فإنّه حتماً سوف يبدع فيه.
ولا تذهب بعيداً .. تأمّل في حركة الفنّان المبدع الذي يهوى مهنته، وحركة الحرفي اليدوي الذي يعمل بالمطرقة وأداة النقر والحفر، ماذا تبدع أنامله .. وفي النجار الذي لم يتخرج من معهد النجارة وإنّما صاحبَ مهنته منذ نعومة أظفاره .. كيف يلين الخشب تحت يديه حتى يكون مطواعاً لصناعة أي إبداع يريد!
إنّ لاعب الكرة البرازيلي الشهير (بيليه) كان يستطيع أن يحاور بالكرة (10) لاعبين

ويتسلل عبرهم إلى حارس المرمى من دون أن تؤخذ الكرة منه!

6 ـ بصمة المبدع:

فالمبـدع لا يكرِّر نفسه، وإنّما يحاول أن يبـدو في كلّ عمل جديد يخرج به إلى الناس جديـداً أيضاً .. إنّها بصـمة الإبـداع الحاذق التي تمهر العمل باسم صاحبها وشخصـيته المبدعة، حتى أنّك لو لم تقرأ اسمه عليها لعرفت إنّها له.

7 ـ التنظيم:

فالتنظيم سـمة الإبـداع والمبـدعين، ولا نعني بالتنظيم هنا الجدول الزمني الرتيب، فقـد ينقلب المبدع على جدوله وأجندته إذا كانت قيداً يقيِّده .. ولكننا نعني بالتنظيم لـدى المبـدعين إنّهم يخططون لكـلّ شـيء بدقّـة وعنايـة بما يضـفي على أعمالهم الإبداعية سمات الإتقان والكمال.

8 ـ الشجاعة:

فلو كـان المبـدع خائفـاً مـتردداً يخشـى كلام النـاس، ويهـاب الأعراف الاجتمـاعية الجامـدة، ويرتعـد مـن النقـد والتجريـح، لمّـا شـهدنا مبـدعاً واحـداً .. ذلـك أن غـالبية المبـدعين تحمّلـوا ضـربات موجعـة بثقـة عاليـة بـالنفس، وبالمبـدأ الـذي يعتنقـونه فقاوموا .. فنجحوا .. وأصبحوا مثلاً أعلى.

9 ـ المثابرة:

فالأعمال الإبداعيـة تحتاج إلى نفس طويل وإلى مداومـة على العمل، وإلى الجـديّة في متابعته وتطويره بهمّة عالية، فإذا رأيت عملاً إبداعياً فلا تسأل كم اسـتغرق من الزمن والجهد .. بل اسأل: كم هناك وراء هذا العمل المبدع من روح كبيرة؟!

10 ـ الذكاء:

وذكاء المبـدع وفطنته قد يكون 20 % وراثـة و 80ب% اكتسابـاً، يأتي من خلال عمله المتواصل، وثقافته الناميـة، وتأملاته الاستبعابيـة، وطريقته في التفكير، وأسـلوبه في العمل، وإصراره على التفوق، وقدرته على التنبّؤ.

11 ـ الخيال الخصب:

ويمكنك أن تتأكد من أنّ الكثير من الأعمال الإبداعية المنجزة كانت تطوف في ذهن المبـدعين كأحلام اليقظـة التي تعيشـها أنت، لكن الفرق أنّ المبـدع يحوّل (الخيال) إلى (مـادة) عمـل .. والآخرون يسـتغرقون في الخيال كبائعـة اللبن التي كانت تحلم بما تشتريه من ثمن لبنها فلما سقط اللبن سقطت أحلامها جميعاً!

12 ـ الانفتاح:

فالمبـدع ليس متعصـباً ولاـ منغلقاً في دائرة ضـيِّقة، بل يفتـح صـدره للنقـد، وعقله لتجارب الآخرين.

ومن جرّاء هـذا الانفتاح فإنّك ترى المبـدع ذا روح مرحـة، وأخلاق متواضـعة، ذلك أنّ التواضع زينة المبدعين.

يقول جيروم كـاردن الفيلسوف الإيطالي أن أحلامه رسـمت له مخطط لكتابه وكان يكتب حلم وراء حلم حتى أكتمـل كتـابه , ويقول الأديب الإنجليزي روبرت لويس أنه كلما احتار في نهاية رواية ذهب للنوم لتملي عليه أحلامه نهاية للرواية .

فهل نحن أقل منهم لكي لا نحلم؟؟!!

قبـل نومـك تكون آخر فكرة ناقشـتها مع نفسك قابله للتطوير أثناء النوم مع عقلك (اللاـواعي) , وأثنـاء نومـك لـديك أرضـية ومساحـة خصـبه يكـون بهـا مجـال الخيـال والتفكير أوسع وبلا حدود بالاستغناء عن خدمات العقل (الواعي) .

المعنى أنه يمكنك اللجوء لأحلامك لمساعـدتك في التفكير , اترك المسؤولية أو جزء منهـا لعقلـك البـاطن بالتفكير بمنطق حيث لا يوجـد أي مؤثر لا عاطفي ولا عقلاني ولا قيود واقعية , وربما تصبح احد هؤلاء المبدعين البارزين.